

عبقريات أزهرية مدفونة

للأستاذ دريني خشبة

—

مثات من الرسائل التي أنشأها البناء من أبناء الأزهر في كلياته الثلاث ليحصلوا بها على إجازاته النهائية - على طريقة الجامعات الحديثة - ملقاة في ركن سحيق من أركان الإهمال ، وقلة العرفان في مكاتب الكليات ، لا ينتفع بها أحد ، ولا يلتفت إليها أحد ، ولا يفكر أحد في أن ينتفع بها الثقافة الإسلامية في الأمم العربية عامة ، والنهضة الفكرية الحديثة في مصر الإسلامية بوجه خاص . والمعجب ، بل أعجب المعجب ، ألا يلتفت ولاية الأمور في الأزهر إلى أهمية هذه الرسائل الثمينة في تدعيم شخصية جامعتهم الكبرى ، وإثبات وجودها ، والمساهمة بها في حياة المسلمين الفكرية ، ومحاربة الأفكار الجاهلة التي أخذت تنزو أفهام الناس عن أقدم جامعات الشرق ، بل أقدم جامعات العالم وأعظمها

شبين وأظهر من موقع أشمون

أبكون من حق التواب أن يصل صوتهم إلى قلب وزير المعارف قبل صوتي ؟

هذا مستحيل ، فأنا من أمناء وزير المعارف ، وأنا سفيره إلى جميع البلاد المصرية ، فمن أوضح الواضحات أن أكون سفيره في البلاد التي تجاور بلدي ، وأنا أعرفها كما أعرف نفسي . لوزير المعارف أن يتفضل فيطلب التقرير الذي قدمته لمراقبة التعليم الابتدائي ومعه تقرير الرقيب ، وأي رقيب ؟ هو رجل من أكابر المرين دعاه مراقب التعليم الابتدائي إلى مصاحبتى لمعاينة مدرسة سنتريس ، لثلا يطني على حبي لبلدي فأقول إن اسمها سنتريس !

لعمري وزير المعارف أن يقرأ هذين التقريرين ثم يفكر فيما يصنع ، فأنا واثق بأنه سيكرم تلك البلاد المشرين ، وندائي لمعالينه هو نداء تلك البلاد المشرين

ذكي مبارك

مثات من هذه الرسائل التي أنشأها البناء من أبناء الأزهر بإرشاد أساتذته ، وأساتذة الجامعة المصرية ، وأساتذة النهضة الفكرية في مصر ، مهمة مُغفلة لا ينتفع بها أحد ، لأن النظام الذي يرين على الأزهر الشريف يقضى على تلك الجهود الغالية بالدفن ، كما يقضى على الآمال المنوطة بتلك الجهود بالضيق

لست أدري ما نصيب الأزهر في مثات الكتب التي غمرت السوق الفكرية في السنوات الخمس الأخيرة في مصر ؟ لا شيء !؟ فهل معنى هذا أن أبناء الأزهر أقل نشاطاً من سائر أبنائنا المتعلمين ؟ كلا ... فالحق الذي لا مصرية فيه هو أنهم في المقدمة من حيث الإنتاج الذهني الرفيع كما وكيفا ، لكنهم فقراء ، ومتوسط الحال منهم لا يستطيع أن يجازف بما يدخره من قروش في سبيل السَّناء العلمي ولألاء الشهرة ، بطبع بعض ما أنتجت قريحته من نثار ما ألف وما يستطيع أن يؤلف ... ولو أن هذه الميزانية الضخمة التي تربط للأزهر كل عام انتمت قليلاً لطبع شيء من هذه الرسائل النادرة التي أردعها شباب الأزهر جهوده بل أرواحه وآماله لعماد هذا العمل على الأزهر نفسه بالسمة الطيبة ، وعلى الأمة بالنفع الجزيل ، وعلى نهضتنا الثقافية بالخير العميم ، ثم هو بعد ذلك كله عمل يلفت العالم الإسلامي إلى طابع الأزهر الجديد ، وإلى الروح الذي يحدوه إلى السمو وإلى الكمال

وبعد ، فما هذه الرسائل التي نشيد بها تلك الإشادة ، والتي ندعو جميع الأدباء إلى التفضل بالذهاب إلى كليات الأزهر للاطلاع عليها حيث حُبست عن الخيرة العام في أركان المكتبات تشبه المتاحف ، أو أقبية المتاحف ... حتى لتوشك أن تسمع من صفحاتها أيقناً وحسرات شاكية من إهمال أولى الأمر لها على هذا الشكل المزري

كتب بعض هذه الرسائل خريجو قسم التخصص على النظام القديم في الأزهر ، ثم كتب معظمها خريجو هذا القسم على النظام الحديث ، وقد بذل كل من أبناء النظامين جهوداً شريفة في الإحاطة بالموضوعات التي اختاروها . والذي يثير العجب

في الخطة التي انتهجها كل من الفريقين في وضع رسائلهما هو تجافيهن عن روح الأزهر القديم ، ومحاربتهم في إخلاص وصدق أن يطعموا الرسائل بطابع البحث الجامعي المصري الطريف . ويحسن أن تقصر الكلام الآن على رسائل كلية اللغة العربية تلك الكلية التي تنافس في شرف وفي نبل معاهد المعلمين في مصر ، كما تدير على هدى من كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ويتوجه أساندها الأفاضل

أقد اهتم كبار كتابنا في مصر الأخير بالتاريخ الإسلامي فأخذوا يتبارون في كتابته في سور شتى ، وأخذت كتبهم تصدر تباعاً ، وتلقف الناس تلك الكتب فرحين مستبشرين لما تجلو لهم من صفحات المجد التي كانوا يسمعون بها ولا يعرفون منها شيئاً ... ومن هذه الكتب ما طبع أكثر من مرة ، ومنها ما لم يبق من طبعاته الأولى شيء ... وقد تألفت أخيراً جماعة أخذت على عاقبها إصدار كتب شهيرة عن أبطال المسلمين يتولى الكتابة عن كل منهم إما واحد من هذه الجماعة العاضلة أو أحد الذين يقع عليهم اختيارها من أرباب الأقلام في مصر وفي حقيقتها من الأمم العربية ... ولقد شهدت في مكتبة كلية اللغة العربية مجموعة كبيرة من الرسائل في التاريخ الإسلامي تناولت رجاله بالترجمة والنقد والتحليل والتحقيق (وتقليد) الموسوعات التاريخية والمقابلة بين رواياتها ، ومما روضة تلك الروايات بما حققه المستشرقون ، وما وقع فيه هؤلاء من الحيف والتخبط أحياناً ... مما لا يتوفر مثله من التمهيد إلا للدارس المنقطع الذي يرى بين كل سطر من سطوره وجه سائل أو يسمع اعتراض مناقش أو حجة ممتحن . فما راقني من هذه البحوث المركزة ، وما يحسن التمثيل به لما حوت تلك المكتبة من هذه الرسائل : بحث في نظام ولاية المهدي في الإسلام ، ورسالة عن دخول الإسلام إلى الهند وانتشاره فيه ، وأخرى عن تاريخ الإسلام في جزيرة صقلية ، ورابطة عن العلاقات السياسية بين الرومان والعرب ، وخامسة عن العلاقة بين الملوك والعباسيين ، ورسالة عن نشأة الدروز وعقائدهم ، وبحث جميل مستفيض عن الأحزاب السياسية في عصر بني أمية ، ورسالة عن دولة بني بويه ... ومن البحوث غير الإسلامية رسالة أنشأها طالب هندي في تاريخ سوامي ديانند

مؤسس الديانة الآرية في الهند ، وهو أول كتاب من نوعه في اللغة العربية ، أنفق فيه صاحبه جهوداً تثير الإعجاب ... هذا ، إلى مئات من الرسائل الأخرى التي تغطي التاريخ الإسلامي كله ، وتتناول أبطاله المشهورين وغير المشهورين واحداً واحداً ، في عرض جميل ، وتبويب جيد ، وتحقيق لم يدع مصدراً في دور الكتب المصرية ، مخطوطاً أو مطبوعاً ، إلا تناوله واستوعب ما فيه أما الرسائل الأدبية فهي بلا شك مفخرة أبناء كلية اللغة العربية ، سواء منهم من تخصص بعد الشهادة العالمية للغة - أي لمزاولة التدريس في المدارس وفي الأزهر ، ومدة هذا التخصص ثلاث سنوات - أو من تخصص منهم للمادة - ويتولى خريجو هذا القسم التدريس في كلية اللغة العربية نفسها ، ومدته سبع سنوات كاملة (١١) . فن أبداع ما يستلفت النظر من رسائل الأدب رسالة في تاريخ القصة في الأدب العربي ، رأيت لزماً أن أخص صاحبه في كلمتي هذه بالتهنئة لما استطاع أن يتناول به في بحثه القيم أطراف هذا الموضوع المتشعب من الاستقصاء والاستيعاب ، ومنها رسالة في الكتابة في العصر العباسي شن فيها صاحبها حرباً شموه على كثيرين من رجال الأدب في مصر ، وكال فيها للدكتور زكي مبارك كيلاً شديداً ، ثم رسالة طريفة عن الموشحات - نشأتها وصلتها بالشعر ، وهي رسالة جيدة ما كان أحوج المكتبة العربية إليها ... ثم عشرات من الرسائل عن البحري والخطيئة والأخطل وابن زيدون والمرجى والأصمعي وغيرهم من ألمع الأسماء في الأدب العربي ، ومن لم يتناولهم أحد في بحوث خاصة مستقلة إلا أبناء هذه الكلية الجفود المجهولون ... ومن أطرف رسائل الأدب رسالة أنشأها صاحبها عن الأدب في عصر المهالك ، وقد تناولت الرسالة هذه الناحية الغامضة من تاريخ الأدب المصري في عصر من أغمض عصوره ... أما الرسائل التي وضعها متخصصو المادة فلا تزال قليلة العدد لقلّة خريجي هذا القسم ، وهي على قلتها رسائل جيدة عالية القدر شاملة الإحاطة ، رأيت منها رسالتين في أدب الخوارج وفي أدب الشيعة ، فلا أبالغ إذا سجلت هنا أنهما من أتمن ما كتب في هذا الموضوع في العالم العربي . ومن أكبر المآخذ على أزهرنا الشريف المبارك ذي الميزانية